

كنفاني قد غلب الخاص على العام، او انه اهمل عملية الترابط الجدلي بين الاثنين، فهو عندما كتب عن معاناة الشعب الفلسطيني الرازخ تحت الاحتلال الصهيوني الاستيطاني، كان يدور في ذهنه الشريط الطويل للاستعمار القديم الحديث، هذا الشريط البغيض الذي يحمل صوراً قاتمة للاضطهاد والقمع الدموي الذي جثم ويجثم على صدور الشعوب، فجوهراً الاضطهاد القومي واحد، وجوهراً الاضطهاد الطبقي هو واحد، ولو اختلفت الاشكال والساحات والتسميات.

يقول كنفاني "عندما اصور بوأس الفلسطينية، فانا في الحقيقة استعرض الفلسطيني كرمز للبوأس في العالم اجمع، وبامكانك القول بان فلسطين تمثل العالم برمته في قصصي، ففي وسع الناقد الادبي ان يلاحظ بان قصصي لا تتناول الفرد الفلسطيني ومشاكله فحسب، بل تتناول حالة انسانية لانسان يعاني من المشاكل اياها، ولكن ربما تلك المشاكل اكثر تبلورا في حياة الفلسطينيين" (١٦)

وكتكثيف لاي كلام يمكن ان نسجله حول ادب كنفاني، فاننا نقول ان الكتاب والمختصين بالادب قد كتبوا عن نتاجات غسان المدعة الكثير الكثير، وان معظمهم قد انصفوه واظهروا بصدق وتجرد اي كنوز ثمينة قد تركها غسان في المكتبة العربية، لكن الاوسمة

التي منحها ويمنحها لشهيد فلسطين اطفال غسان الذين احبهم واحبوه تبقى اثنان من اية اوسمة ادبية، فهي ابدية ومميزة، لانها تحمل عهد الدم ولون الدم، فها هم اطفال كنفاني في المخيمات والقرى والاحياء يخرجون من روايات كنفاني ليجسدوا البطولة على الارض، ها هم يحرقون الارض تحت اقدام المحتلين ويواصلون مسيرتهم في اجواء من القتل والتنكيل، لكنهم يواصلون، ما دام الوطن قد ناداهم... ها هم اطفالك يا كنفاني يهتفون في ذكرى استشهادك، بان القضية التي احببت، هي امانتنا الغالية التي سنحافظ عليها ونصونها، مهما بلغ الثمن، مهما علت التضحيات.

وبعد، فان لغسان سمات اخرى كثيرة لا تتسع لها هذه العجالة، ومنها الجماعية ونكران الذات، والاخلاص المطلق للقضية الوطنية والطبقية، وكذلك الصلابة المعنوية الرفيعة التي لا تعرف التردد ولا المهادنة، اصف الى ذلك سمة الصراحة والمباشرة، واستخدام اسلوب المكاشفة الصريحة في التعامل مع الرفاق والجمامير بشكل عام بدل اللجوء للنميمة والاستغابة، وفي حركة القوميين العرب، وبعدها في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين كان غسان كنفاني دينمو نابضا بالعباء والتجدد والتجديد المستمرين، واسهم بروحه الشبابية المتوقدة في دفع وتسريع مسيرة التحول من تنظيم برجوازي صغير الى حزب ماركسي، لينيني.